الملك عبدالله بن عبدالعزيز.. قائد فذ وزعامة تجاوزت الحدود

بقلم: سعد الدين رفيق الحريري

لعلني من القلائل الذين كان لهم حظ وشرف الالتقاء بقائد فذ، وملك مصلح .. وشخصية تاريخية استثنائية.. هو عبد الله بن عبد العزيز آل سعود.. خادم الحرمين الشريفين وملك المملكة العربية السعودية، الزعيم العربي الذي عرف نموذجا للمصداقية والحكمة والاعتدال.

هذا الفارس العربي المسلم.. ورث سفراً ناصعاً من التاريخ في القيادة والسياسة والحكم، كونه من سلالة بيت عريق وأسرة مباركة، كانت بحق هبة من الله عز وجل إلى جزيرة العرب.. بل وإلى العالم أجمع.. نهل من هذه الدوحة الثرية بالقيم والخلق ورث منها كل صفات القيادة والإنسانية والدين، وكل صفات الشهامة والشجاعة والحنكة..

ويضاف الى ذلك.. ما وهبه الله من ذاتية خلاقة.. ومواصفات شخصية نادرة وملكات وقيم مكتسبة في تنشئة صالحة، ومناخ نقي ومحكوم بالقيم والمثل... بذلك يحق لنا أن نكون أمام هذه الشخصية التاريخية الاستثنائية في عصر قلّتْ، أو لنقلْ: انعدمت فيه الكاريزما الخلاقة وافتقد العالم فيه إلى سحر القيادة الذاتية، لنكون جيلا محظوظاً بأن نكون من جيل هذه الشخصية التاريخية الاستثنائية الكاريزمية، خادم الحرمين الشريفين عبد الله بن عبد العزيز- حفظه الله.

وإذا كنت قد استلهمت انطباعاتي عن هذه الشخصية الفذة خلال تشرفي بلقائه عدة مرات، رسمية وشخصية.. لانه كان بمثابة الوالد الأكبر الذي نفزع له في ترحنا.. كما نسعد به في فرحنا، أقول إذا كانت هذه هي انطباعاتي استلهمتها شخصيا من لقاءاتي معه حفظه الله.. إلا أني قبل هذا وبعده، قد تشربت حب وتقدير وإجلال هذه القيادة الرشيدة لهذا البلد الأمين.. من الوالد الشهيد رفيق الحريري.. الذي أعرف قبل غيري كم كان يحب هذا البلد ويحب قيادته ويعتز بشعب المملكة.. ولا ريب في ذلك، فقد احتضنته المملكة، وأحبته، كما أنه قد شرب من مناخها الحب والوفاء والرجولة والشهامة.

إننا مثل الوالد الشهيد.. إذا كنا نعتز ببلدنا لبنان وبه نفخر ونكبر.. فإننا نعتز ببلدنا ووطننا المملكة العربية السعودية وبه نفخر ونكبر.. ولعلنا من القلائل الذين حباهم الله بكرمه.. بوطنين حبيبين وشعبين كريمين خلاقين.

إننا كأسرة للشهيد الحريري نفخر، ونعتز ببلدنا المملكة العربية السعودية ومثل أي فرد من شعبها.. ندين بالولاء والانتماء لقيادتها الرشيدة لأننا تشرفنا بها.. ولأنها وطن وبلد رفيق الحريري.

وقد علّمنا رفيق الحريري.. شهيد لبنان.. وشهيد المملكة والعالم العربي والإسلامي.. علمنا الوفاء.. وحب المملكة.. وزرع فينا الولاء لها .. وأن نفتديها بكل ما نملك: النفس قبل الولد.. والمال والجاه، والعمل... وكل ذلك لا يعادل ذرة مما

في يوم الوطن .. الملك عبدالله ومسيرة التطوير والإصلاح

الملك عبدالله والرئيس الحريري يستعرضان حرس الشرف

أعطتنا.. مثلما أعطت كل أبنائها وشعبها.

علّمنا رفيق الحريري.. أن لبنان كان دائما في قلب المملكة العربية السعودية ولا يزال، لبنان بكل أطيافه وطوائفه وأعراقه، كانت المملكة العربية السعودية لهم بمثابة الوطن الآخر.. والشعب المحب.. والأخ الأكبر.. والصادق الصدوق... ومن منا يمكن أن يتناسى دور المملكة في إطفاء نار الفتنة إبان الحرب الأهلية التي حصدت الأخضر واليابس على مدى عشرين عاما.. وما تلا ذلك، وما كان قبل ذلك.. ويكفي أن أكبر جالية لبنانية خارج لبنان.. هي في بلدهم الثاني المملكة العربية السعودية لا يلقون الا كل رعاية كريمة، وتقدير وحب.

لقد علمنا رفيق الحريري أن الخير والفضل يجب دائما أن ينسبا لأهله.. دون مواربة أو غرور مصطنع أو ذاتية متورمة، وفضل المملكة.. ليس على آل الحريري فقط.. فهم جزء من شعبها، ولكن على كل لبنان.. وعلى كل اللبنانيين.

وعندما أتحدث عن عبد الله بن العزيز.. الملك الفارس.. والمصلح الفذ، بطلب كريم من مجلة الحرس الوطني، فإنني سأكون عاجزا لا محالة، لأنني أمام شخصية تاريخية استثنائية.. وليس لمثلي أن يقيم.. أو يحلل شخصية مثل هذه الشخصية العظيمة.. ولكن هي انطباعات شخصية من أحد أبناء مدرسة عبد الله بن عبد العزيز في السياسة.. والإدارة، والعلاقات الدولية.

إنه مثال نادر للوضوح والصراحة.. وهي صفات لا تصدر إلا عن شجاعة وثقة متناهية بالنفس، فخادم الحرمين الشريفين يصل لما يريده من أقصر الطرق..لأن شخصيته الواضحة

• لبنان كان ولا يزال بكل أطيافه وطوائفه في قلب المملكة التي هي بمثابة الوطن الآخر لهم.

والصريحة لا تقبل المسالك المعوجة..ولا الرأي المغلف، مثلما تعودنا عليه للأسف الشديد في الخطاب السياسي العربي..

إنه يتخذ قراره بقوة دون تسرع أو تعجل في الرأي.. لأن من يعرفه -حفظه الله- يعرف انه لا يتخذ قرارا إلا بعد استشارات ودراسات وروية.. لانه يؤمن بعمل المؤسسات ضمن المنظومة الشاملة لاتخاذ القرار.

إنني أتحدث عن هذه الصفات من باب الإعجاب والتأثر بها، لأننا في تاريخنا السياسي المعاصر تعودنا كما ذكرت على الخطب الرنانة الجوفاء.. والمزايدات والشعارات الاستهلاكية، التي تدغدغ مشاعر الكثير من الجماهير.. لكنها لا تفعل لهم شيئاً.. بل قد تؤدي إلى المهالك والمآسي.. وتاريخنا العربي المعاصر.. يعج بالشواهد والنتائج.. لأن ذلك لا يعدو كونه ضجيجاً... دون رصيد من الواقع والعقل والإبداع.

لكن عبد الله بن عبد العزيز.. قدم نموذجا مختلفاً للقيادات السياسية ليس في عالمنا العربي فحسب، ولكن في العالم، ولعل هذا أحد أسرار احترام وتقدير العالم له.. حتى من يختلفون معه أحيانا في بعض الآراء أو الاجتهادات.

أذكر.. خلال زيارته إلى لبنان في عام ١٩٩٨م.. أنه أعطى حديثا صحفيا إلى جريدة السفير.. وأذكر أن كل أطياف لبنان من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين قد أجمعوا على احترامه، بل وعلى محبته..وهذا أمر نادر في لبنان المعروف بالتعددية والآراء وكثرة الجدل حول الشخصيات والأفكار والآراء..

لكن عبد الله بن عبد العزيز كان مثار إعجاب واحترام وحب الجميع.. ولم أر رفيق الحريري أسعد منه في تلك الأيام.. وهو يتجول به في سيارته الخاصة في شوارع بيروت منتشياً بالفرح والحبور والسعادة وهو مع خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز (عندما كان ولياً للعهد) في بيروت.

من الصفات التي شدتني فيه حفظه الله..

• الملك عبدالله يؤمن بدور المؤسسات ضمن المنظومة الشاملة لاتخاذ القرار ولهذا فهو لا يتخذ قراراً إلا بعد استشارات ودراسات وروية.

الملك عبدالله في إحدى زياراته إلى لبنان يجتمع مع الرئيسين الهراوي والحريري

في يوم الوطن .. الملك عبدالله ومسيرة التطوير والإصلاح

روح الأبوة لديه، وإنسانيته وقربه الإنساني مع كل من يلتقي به.. فهو يملك قلباً كبيراً.. ولقاءاته دائما ما تكون دافئة وودودة.. ولن تستغرب عندما يسألك عن أشياء خاصة للاطمئنان، ولإشعارك بالاهتمام والأبوة الحانية، بابتسامته المعهودة، ولطائفه الجميلة التي يطلقها بين الفينة والأخرى.

وهذه هي المفارقة.. ولعلها أيضاً أحد أسرار عظمة هذه الشخصية العظيمة، فهو قائد جاد وواضح في مواقفه، ذو إرادة قوية، وزعيم مهاب وله حضور قوي..وفي الوقت نفسه.. هو الشخصية الودودة المحبة القريبة دائماً.. من كل الأطراف.. فهو دائماً يعني ما يقول.. ولا يقول إلا ما يعني بالفعل، لأنه لا يؤمن بالاستهلاك الإعلامي أو الكلامي.. الذي نصطدم به.. صباح مساء في خطابنا الإعلامي والسياسي والفكري في عالمنا العربي والإسلامي.

الآن وقد مر عام على توليه -حفظه الله- مقاليد الحكم في المملكة.. فإننا نهنئ أنفسنا به.. وفي الحقيقة إننا نهنئ أنفسنا.. بقمم من القيادات الرشيدة الحكيمة.. منذ الملك المؤسس عبد العزيز بن عبد الرحمن وأبنائه سعود وفيصل وخالد إلى الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله.. الذي كان قائداً وزعيماً استثنائياً.. في زمن استثنائي، وهاهو القائد الفذ خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز، وسمو ولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز... قادة أفذاذاً في مسيرة مباركة لقيادة هذه البلاد الى مدارج العز والتطور والنمو، ومعهم كافة الأسرة الحاكمة الكريمة.. والشعب السعودي الخلاق... ليعطى لهذا البلد ما يستحقه من العطاء في مسيرة مباركة من القيادات، وليس ذلك فقط للمملكة.. ولكنها زعامات تجاوزت الحدود.. وحكمة طبقت الآفاق في المعمورة بخيرها، وفكرها، وعطائها...

• نهنئ أنفسنا بهذه القمة من قمم القيادات الرشيدة الحكيمة التي حكمت المملكة منذ عهد الملك عبدالعزيز. طيب الله ثراه.

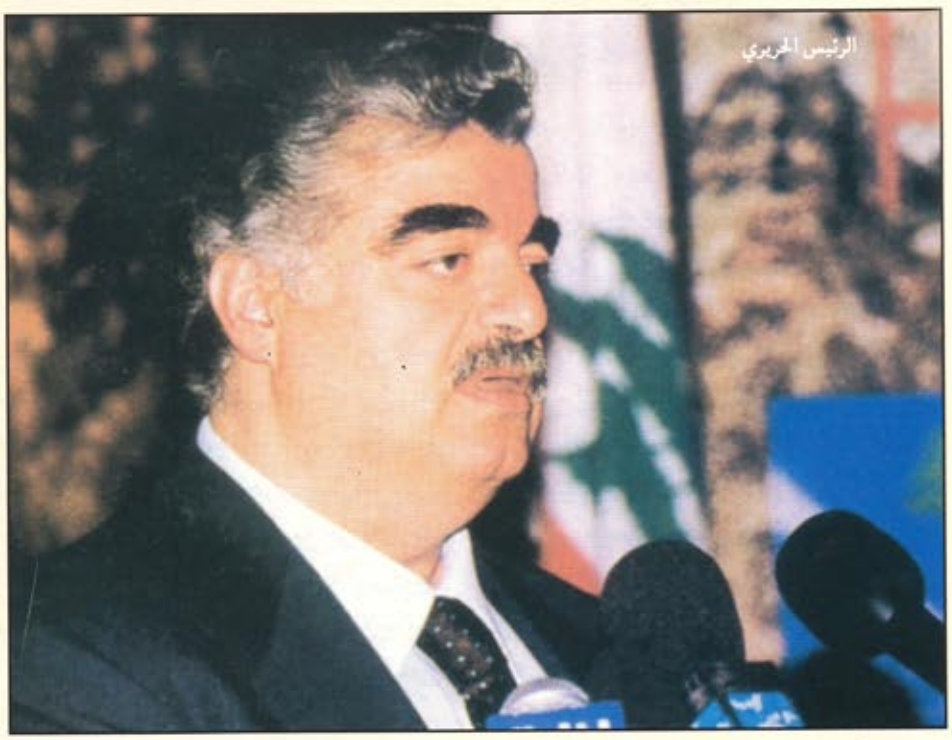
الرئيس الحريري